21

حتميّةُ الحِوارِ في عَصْرِ العَوْلَمَةِ

تمهيد: الحِوارُ بينَ حضارةٍ وأخْرى ضَرورةٌ قُصوَى من ضَروراتِ الحَياةِ تقتَضي معرِفَةَ الآخَرِ في جُزئيّاتِ ثَقافتِهِ حتّى يَستوْعِبَ المُحاوِرُ جوْهَرَ حَضارةِ الآخَرِ، ذلكَ أنّ التّفاعُلَ الإنسانِيّ مَسْؤوليّةُ الجَميعِ دُوَلاً ومُؤسّسات وأفْرادًا.

وَشيجةً: مُتشابكة، متداخلة

تَقلّصتِ المسافاتُ بيْن الأمَم والشّعُوب وأضْحَتِ العَلاقاتُ بينَ الأنَا والآخَرِ عَلاقَاتٍ يوميّةً وَشيجةً تُمهّد لمزيدٍ من التّعَارُفِ وتبَادلِ المَصالحِ والعملِ المشْتركِ. وَلذلكَ لاَ مَجالَ للانْزواءِ في هَذا العَالَمِ المفتُوحِ عَلَى مِصرَاعيْهِ لأنّ الأضْواءَ الكَاشِفةَ أضْحَتْ تَتَسَلّلُ إلى كُلِّ الزّوَايَا وَالأرْكَانِ في أقْصَى أنْحَاءِ المعْمُورةِ. إنّهُ إذَنْ خيَارٌ حَتْميّ لاَ بَديلَ عنْهُ وتَزدَادُ حَتْميّتُهُ تَأكّدًا للأسْباب التّاليَة:

أوّلاً لما تَشْهَدُه المجْتمَعاتُ البَشريّةُ منْ تَنوّعٍ وَتعدّدٍ في الثّقافَاتِ أفْرَزَهُ وَاقِعُها عبْرَ أحْقَابٍ مُتتَاليةٍ منَ التّاريخ وَفي مَناطقَ مختلفَة من العالَم وعبر أطُرٍ حَضَاريّةٍ مُتَعَدّدةٍ ومُتَنوّعَةٍ. فَلا يُمْكنُ الحَديثُ إذنْ عنْ وحْدَانيّةٍ ثَقافيّةٍ كما يَرَى أعْداءُ الحِوارِ وَلا عَنْ تَفاضُلٍ بينَ الثّقَافَاتِ بقَدرِ مَا يَتعيّنُ النّظَرُ إلى مَا في التّعَدّدِ من تَكامُلٍ بيْنَ أجْزاءِ التّجْربةِ الثّقَافيّةِ الإنْسانيّةِ...

وَثانيًا: لِمَا ذَكرْناهُ منْ أنّ طَبيعَةَ المرْحَلةِ الرّاهنَةِ الّتي يَعيشُها العَالمُ تَسْتَوْجبُهُ وتَقتَضيهِ ولاسيّمَا بعْد قيَامِ الثّوْرَتَيْنِ التّكنُولوجيّةِ والاتّصاليّةِ وارْتفَاعِ الحُدُودِ الّتي كَانتْ تَفْرضُها الأيديُولُوجيّات والسّياسَات، وانْفتَاحُ الآفاقِ أمَامَ الحُرّيّاتِ وتَأكّدِ الحَاجةِ إلى عَوْلمةِ الاقْتصادِ...

وثَالثًا: لأنّ الحِوارَ الحَقيقيّ بيْن الأمَم والشّعُوبِ لاَ يَكْتَسي أبْعادَهُ الكَاملةَ إلاّ عَبْرَ المعْطى الثّقَافيِّ لأنّ ثَقافةَ شَعبٍ مَا، هيَ الممثّلة لهُويّتِهِ وَلمكوّناتِ شَخْصيّتِهِ ولأسْلوبِ تَفْكيرِهِ ولتَقاليدِهِ وأعْرافِهِ ولنظْرَتِهِ إلى الوجُودِ. ويُعتبَرُ التّعَرّفُ على كلِّ ذلكَ خيْرَ مُنطَلقٍ لتَفَهّمِهِ وتَقْديرِ أوْضَاعِهِ وتَوَخّي السّبُلِ الملائمةِ للتّفَاعُلِ والتّعَامُلِ معَــهُ. ونحْــنُ وإنْ كنّا لاَ ننْفي قِيامَ الحِوارِ ضِمْنَ أطُرٍ أخرَى كَالأطُرِ السّياسيّةِ والإعْلاميّةِ إلاّ أنّهَا تبْقَى مهْمَا اتّسَعَ نِطاقُها ضيّقةً...

ورَابعًا: لأنّ التّاريخَ عَلّمَنَا بأنّ الثّقَافَات قَدْ مَرّتْ بأطْوارٍ منَ الصّرَاعِ والحِوارِ عَبْرَ الأزْمنَةِ المتَعاقِبةِ واتّضَحَ منْ خِلالِ تلْك التّجَاربِ أنّهَا لَمْ تَجْنِ من الصّراعَاتِ الّتِي خَاضَتْ غِمارَها سِــوَى المَوتِ والدّمَارِ، بيْنمَا عادَ عليْها التّفَاعُلُ وَالحِوارُ بمَكاســبَ مؤْفُورَةٍ إذ أيْنعتْ ثمَارهَا وأزهرَ نِتاجهَا عبْر التّاريخِ والأمْثلةُ عَلَى ذلكَ كَثيرةٌ يَشهَدُ عَليْها تَاريخُ الحَضاراتِ المختَلفَةِ.

ومَا يَهُمّنَا هُنَا هُوَ حَاضرُنا الّذي نَحْتاجُ فِيه أكْثرَ منْ أيّ وقْتٍ مَضَى إلى التّخَاطُبِ بالكَلِماتِ ولا نَحْتاجُ فيهِ إلى التّرَاشُــقِ في الحُروبِ. إنّنَا في أشَــدّ الحَاجةِ إلى السّلْمِ العَالميّةِ الّتي تَحْفظُ تَوَازُنَ العَالمِ واسْــتقْرارَهُ وأمْنهُ وَمَا مِنْ سَــبيلٍ إلى ذلكَ سِوَى الالْتِزامِ بمَبْدإِ الحِوارِ.

توفيق بن عامر، الحياة الثّقافيّة عدد 2006/171، ص 42

عن كتاب العربيّ عدد 65، ط. 1، الكويت 2006، ريشة حلمي التّوني

- اقترحْ عنوانا للّوحة معلّلاً إيّاهُ.

تعريفات

أعــلام:

المؤلّــف: توفيق بن عامر - أســتاذ تعليم عال من مواليــدِ 27 جانفي 1946 بالقلعة الكبرى (ولاية سوســة)، محرز على شهادة دكتوراه دولة في الحضارة العربيّة الإسلاميّة حول الرّقّ في الحضارة الإســلاميّة، مــن أهمّ مؤلّفاته «دراســات في الزّهد والتّصوّف»، «التّصوّف الإســلاميّ إلى القرن السّــادس للهجرة» و«منزلة أصــول الدّين بين العلوم الشّــرعيّة»، وله مقــالات في الفكر الدّينيّ وفي الفكر العربيّ المعاصر منشــورة بمجلات علميّة مختلفة.

مصطلحات:

العولمة: «العولمة ما زالت في مراحل تشكّلها الأولى تبحث لنفسها عن معايير ومقوّمات تحوّل شــروط اللّيبراليّة الاقتصاديّة الجديدة الّتي تقوم عليها إلى قيم إنســانيّة شاملة ترسّخها كإيديولوجيا جديدة... يراد الانطلاق من قوانين ثابتة وخيارات اقتصاديّة تجاريّة في الأســاس واعتبارها مثالا صالحا لكلّ زمان ومكان، أي الانطلاق في تصوّر مســتقبل وتطوّر البشــريّة من مسلّمات واحدة، جاهزة مستوحاة من الأنموذج الانجلوسكسونيّ رغم اختلاف السّياق والمعطيات والظّروف الحافّة اقتصاديّا وسياسيّا واجتماعيّا بشعوب العالم وبلدانه».

حاتم بن عثمان، العولمة والثّقافة، ط. 1، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، الأردن 1999 ص 20

النّصّ الحضاريّ:

إنّ كلّ نصّ هو حضاريّ، وإنّ النّصّ الأدبيّ ذاته حضاريّ، إلاّ أنّ المقاربة الأدبيّة ليست كالمقاربة الحضاريّة، إذ الأولى تسعى إلى أدبيّة النّصّ جوهرا، والثّانية تستطلع مواطن الأفكار فيه بوصفها تحيل على الواقع الإنسانيّ في إطار مخصوص.

ويصطدم تحديد النّصّ الحضاريّ بجملة من العراقيل من أبرزها تداخل الموادّ من تفسير وفقه وكلام وتصوّف وتاريخ وجغرافيا... ومنها أنّه لا وجود لنصّ حضاريّ من حيــث الجنس أو الماهية. فالحضــارة جامع لمعارف ولحقــول علميّة مختلفة، وصفة الجمع تنفي الاختصاص... فالنّصّ الأدبيّ قد يحيل على الجانب الحضاريّ وكذلك النّصّ التّاريخيّ الّذي يتمخّض بالسّياســة، ولكنّه لا يخلو من المعطيات الحضاريّة... فالمسألة لا تقترن بهويّة نصّ بل بمشاغل دارس النّصّ.

كمال عمران، «في التعامل مع النص الحضاري»، «صناعة المعنى وتأويل النّصّ» منشورات كلية الآداب بمنوبة 1992

الفهم والتّحليل

1 - تأسّس النّصّ على تعديد دواعي الحوار: تتبّعْ مسار هذا البناء وحدّدْ مدار كلّ عنصر.

2 - توزّعت أدوات التّفسير والرّوابط الحجاجيّة للانتقال من المعطى إلى النّتيجة: استخرجْ أمثلة على ذلك وبيّنْ دورها في توضيح ضرورة الحوار.

3 - بم تفسّر الإطناب في تعليل الدّعوة إلى التّحاور بين الأمم؟

4 - لمّح الكاتب إلى عوائق الحوار، وصرّح بوسائل تحقيقه وحدّد أطُره المتنوّعة: اذكرْ مظهريْن لكلّ عنصر.

5 - من يقصد المؤلّف بـ«أعداء الحوار»؟

التّفكير وإبداء الرّأي

يرغب عديد الدّارسين ببلادنا في مواصلة بحوثهم بالجامعات العالميّة: فهل ترى في هذه الظّاهرة تدعيما لمسالك الحوار الحضاريّ؟

نافذة لغويّة

لأنّ / إذَنْ

1 - لا مجالَ للانزواءِ في هذا العالَم لأنّ الأضْواءَ الكاشِفةَ أضحتْ تتسلّلُ إلى كُلِّ الزّوايا... إنّهُ إذنْ خيارٌ حتميّ لاَ بديلَ عنهُ.

لأنّ + صِلَتُها: مفعول لأجله يفيد السّبب ويستعمل حجاجيّا للرّبط بين جملتين. فتسلّل الأضواء إلى كلّ زوايا الحياة يحتّم نفي الانزواء والانكماش على الذّات.

لأنّ: تعلّل ما ورد في مضمون الجملة الأولى، تضمن العبور من المعطى إلى النّتيجة وتضفي على الجملة علاقة منطقيّة؛ والنّصّ كلّه مبنيّ بناء منطقيّا أطروحته حتميّة الحوار يبرهن عليها الكاتب بحجج متنوّعة للأسباب التّالية: «لأنّ... لأنّ...»

إذنْ: تفيد الاستنتاج اللّزوميّ أي تربط ما سبق بما بعدها بعلاقة استلزام.

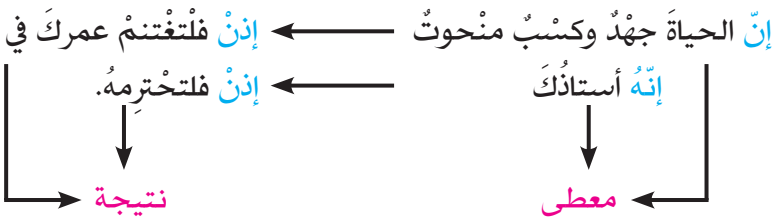

إنّ زَميلَكَ في أشدِّ الحاجَةِ إليْكَ. إذنْ .....

جارُكَ إنسانٌ مُهَذّبُ الأخلاقِ. إذنْ .....

كلّ إنسانٍ فانٍ

سُقراط إنسانٌ إذنْ .....

إغناء

1 عولَمة: التّوْليدُ الاشْتِقاقيّ

فَعْلَلَ ← استنباط فعل من اسم: عَوْلَمَ، هَيْكَلَ...

استنباط فعل من اسم بلد: بَلْقَنَ، لبْنَنَ، سعْوَدَ، جزْأَرَ، تَوْنَسَ...

فَعْلَنَ ← استنباط فعل من اسم: شَكْلَنَ، عَقْلَنَ...

فاهتداء - العرب بفضل طاقة لغتهم الاشتقاقيّة وبفضل آليات التّوليد الاصطلاحيّ لديهم - إلى مصطلح العولمة يعدّ امتيازا لغويّا عاليا يشهد بطواعيّة لسان العرب من حيث الصّوغ الشّكليّ... العولمة كلفظ يدلّ على صيغة الحدث وهو مصدر اشتقاقيّ لفعل مستحدث: عَوْلَمَ يُعَوْلِمُ عَوْلَمَةً.

[لمزيد التّوسّع اُنظر مقال عبد السّلام المسدّي، «العولمة بين المصطلح والمقاصد» ضمن كتاب اتّقوا التّاريخ أيّها العرب، مؤسّسات بن عبد اللّه، تونس].

2 إذا كان الحوار بكلّ معانيه وأبعاده يمثّل رسالة نبيلة تؤكّد تميّز الإنسان عن غيره من الكائنات عقلا ولغة وتواصلا، وهي سمات وهبها له اللّه وبها ميّزهُ، فإنّ الإنسان مدعوّ إلى الحفاظ على هذه الهبة وتفعيلها وتسخيرها له ولغيره من الكائنات.

لكنّ الحروب الّتي يعرفها عالمنا المعاصر وما تؤدّي إليه من قتلى فاق عددهم أعداد الكوارث، ومن دمار أوشك على الفتك بكلّ الحياة على البسيطة أصبحت تمثّل وصمة عار في جبين الإنسانيّة المسلّحة بالتكنولوجيّات الحديثة وبالوسائل المتقدّمة والمستحدثة للاتّصال والتّواصل. يبدو أنّ الإنسانيّة باتت اليوم وغدا مهدّدة بإفناء ذاتها من قبل بعض العناصر فيها، وخصوصًا من قبل الأطراف الحضاريّة الفاعلة المدعوّة إلى الكفّ عن إذكاء التوتّرات والتّوقّف عن تحريض البراكين الكامنة... فاستمرار المجاعات والأوبئة والأمراض الفتّاكة والفقر والبطالة إنّما هو نتيجة للحيْف والظّلم الاقتصاديّ والاجتماعيّ المسلّط على عديد شعوب العالمِ وعلى عديد الفئات الاجتماعيّة فيها. وفي

ذلك حيف كبير نتيجة التّفاوت بين من يملكون الثّروات والخيرات والمعارف والمعلومات وبين من لا يملكون، بين من ينتجون ومن لا ينتجون.

فالإنسانيّة أمام هذا الوضع، محتاجة إلى تحقيق عدالة مفقودة وإلى ردم الهوّات الغذائيّة والثّقافيّة والتّكنولوجيّة. ولن يتحقّق ذلك إلاّ بتحقيق العدالة بين الشّعوب والأمم في اقتسام ثروات الأرض وفي توزيع المعارف توزيعا عادلا.

محمد نجيب بوطالب، «الحياة الثّقافيّة» عدد 171 /2006، ص 25

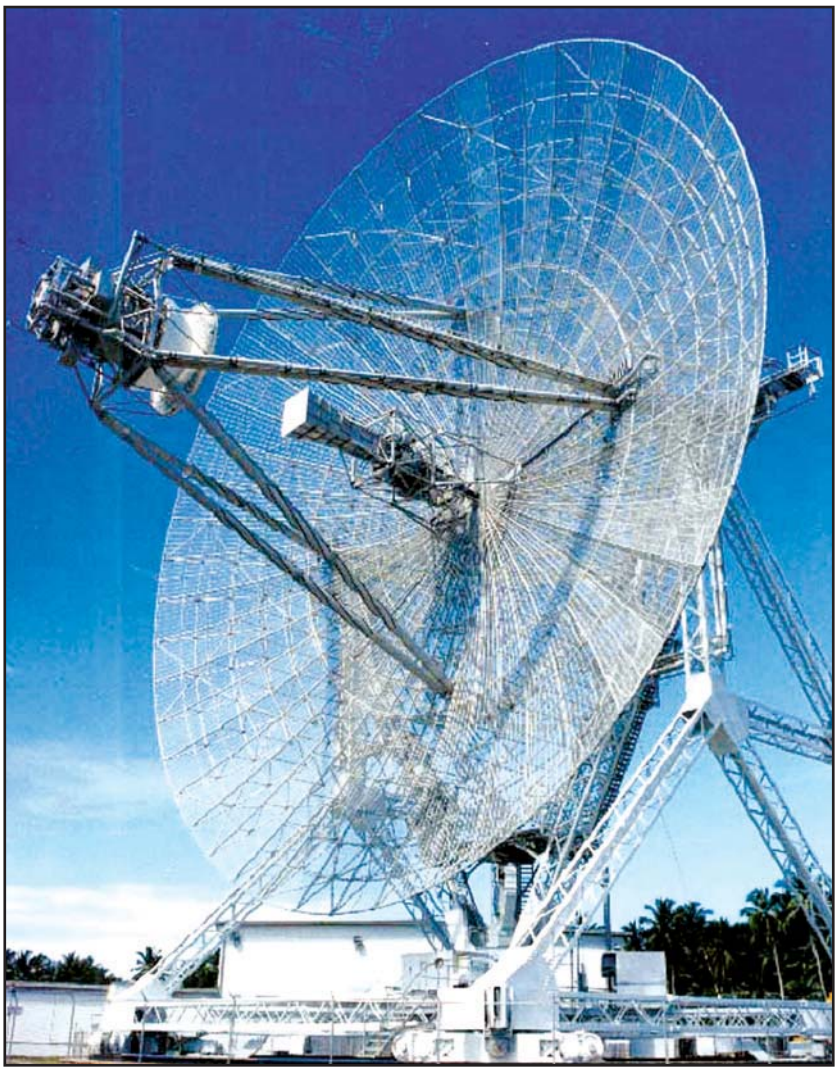

ساهمت وسائل الاتّصال الحديثة في التّعريف بحضارات الشّعوب شرقا وغربا. [لاقط هوائيّ مركزيّ]